المحاضرة الثالثة: ماهية علم النفس الاجتماعي

تتمثل الأهداف الخاصة لهذه المحاضرة، فيما يلي:

- تعريف الطالب بمفهوم علم النفس الاجتماعي وأهميته النظرية والتطبيقية.
- تعريف الطالب بأهم الملامح التي تميز علم النفس الاجتماعي عن مختلف العلوم النفسية والاجتماعية.
- تعريف الطالب بالمجالات التي يهتم علم النفس الاجتماعي بالبحث فيها.

أولا: نشأة علم النفس الاجتماعي

نشأ علم النفس الاجتماعي كأي علم آخر في أحضان الفلسفة، فلو نظرنا إلى تاريخ هذا العلم لوجدنا أنه يرجع إلى تاريخ الفلسفة اليونانية. ويعتبر أفلاطون هو مؤسس معظم قضايا علم النفس الاجتماعي، فكان ينظر إلى الإنسان كما لو أنه نتاج نموذج اجتماعي ما، وكان يرى أنه بالإمكان تكييف الطبيعة الإنسانية في أي اتجاه عن طريق الاستخدام المناسب للمؤسسات التربوية والاجتماعية.

وكان أرسطو يرى الإنسان كائناً بيولوجياً وكان يفسر سلوك الإنسان على أساس الوراثة الحيوية أي أن الإنسان يخضع في أنماط حياته المختلفة للمؤثرات والاستجابات البيولوجية، فالجماعة لديه خاضعة في مكوناتها للسلوك الفردي.

محطات مهمة في التاريخ الحديث لعلم النفس الاجتماعي:

- في عام 1908م صدور كتابين، الأول بعنوان "علم النفس الاجتماعي" لادوارد روس E.Ross، والثاني لماكدوغال Mc.Dougall، تحت عنوان مقدمة في علم النفس الاجتماعي. حيث ناقش ماكدوغال في هذا الكتاب "دور التقليد" في تفسير تشابه السلوك بين أفراد الجماعة الواحدة. وكان هذا الكتاب بمثابة الدفعة القوية التي مكنت علم النفس الاجتماعي من أن يسير قدما، اعتبر فيه أن السلوك الاجتماعي هو نتيجة مباشرة للغرائز التي نرثها. رغم أن هذه الفكرة قد أثارت اهتمام الباحثين وحفزتهم للبحث في الموضوع إلا أنها لم تعد قائمة في علم النفس الاجتماعي الحديث.
- في عام 1920م أصدر "ماكدوغال" كتابه الثاني "العقل الجمعي" وأوضح فيه الأسس العامة والخطوط الرئيسية لعلم النفس الاجتماعي. وقد كانت الاسهامات الأخرى لعلماء النفس في هذا الفرع الهام في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. تتمثل في محاولات من جانبهم لإيجاد عنصر هام يعتبر مسئولا عن تحديد النفسية الاجتماعية والفردية بصفة خاصة.

- أول دراسة منشورة في هذا المجال كانت تجربة قام بها "نورمان تريبليت" حول ظاهرة التسهيل الاجتماعي لدى متسابقي الدراجات الهوائية.
- الدراسات التجريبية كانت قليلة مقارنة بالجهود النظرية، كما تميزت بالبساطة من حيث عدد المتغيرات المدروسة والأدوات المستخدمة.
- خلال ثلاثينيات القرن العشرين، وبسبب الحرب العالمية، هاجر وهرب العديد من علماء النفس من ألمانيا إلى الولايات المتحدة، ومنهم "كورت لوين Kurt Lewin"، وكان لهم دور أساسي في تطوير هذا الحقل المعرفي كشيء منفصل عن المدارس السلوكية والنفسية التي كانت سائدة خلال تلك الفترة.
- كانت المواقف الاجتماعية ومجموعة متنوعة من ظواهر المجموعات الصغيرة هي الموضوعات الأكثر شيوعا من حيث الدراسة والاهتمام في هذه الحقبة.
- توسعت التجارب لتمس الراشدين والمراهقين إضافة للأطفال.
- خلال الحرب العالمية الثانية، درس علماء النفس الاجتماعيون الإقناع والدعاية للجيش الأمريكي.
- بعد الحرب، أصبح الباحثون مهتمون بمجموعة متنوعة من المشكلات الاجتماعية، بما في ذلك القضايا الجنسية والتمييز العنصري.
- في الستينات، كان هناك اهتمام متزايد بمجموعة متنوعة من الموضوعات الجديدة، مثل التنافر المعرفي، والتدخل من جانب المارة، والعدوان.
- خلال السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية مباشرة، كان هناك تعاون متكرر بين علماء النفس وعلماء الاجتماع.
- إنشاء "كيرت ليفين" مركز بحوث في دينامية الجماعة 1945م.
- طرح "ليون فيستنجر Festinger" سنة 1957م نظرية التنافر المعرفي.
- كما أشار "جوستاف لبون G.Lebon" إلى سيكولوجية الحشد.
- بلغ علم النفس الاجتماعي مرحلة من النضج على مستوى التنظير والمناهج خلال الثمانينات والتسعينات.
- وحافظ علماء النفس الاجتماعي أيضا على اهتماماتهم التطبيقية، بمساهمات في علم النفس الصحي والبيئي والمدرسي والاتصالي...الخ.
- ونشير إلى أن أمريكا ساهمت كثيرا في تطور علم النفس الاجتماعي نظرا لتوفر المناخ المشجع على البحث العلمي من جهة، ومواجهة المجتمع الأمريكي لمشاكل اجتماعية داخلية من جهة أخرى، مثل التمييز العنصري والصراعات الطائفية والإجرام.

ثانيا: مفهوم علم النفس الاجتماعي

يعدّ علم النفس الاجتماعي أحد الفروع النظرية لعلم النفس، وقد قدمت له عدة تعريفات منها:

- حسب "غوردون ألبورت" (1961م)، علم النفس الاجتماعي "هو أحد فروع علم النفس الأساسية، الذي يستخدم الأساليب العلمية لفهم وشرح فكر ومشاعر وسلوك الأفراد من خلال التواجد الفعلي أو الضمني للآخرين".
- من جهته يعتبر "روجر وليام براون" (1965م) أن "علم النفس الاجتماعي يهتم بدراسة السيرورات الفكرية للأفراد في علاقاتها بتفاعلاتهم مع الأشخاص الآخرين".
- أما "سارج موسكوفيتسي" (1984م) فيعتبر أن "علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس التفاعل بين الفرد والمجتمع".

وهناك من عرّفه بأنه: "العلم الذي يدرس سلوك الفرد كما يتشكل من خلال المواقف الاجتماعية".

أو هو: "الدراسة العلمية للسلوك الصادر عن الفرد تحت تأثير المنبهات الاجتماعية المختلفة وما بينها من علاقات".

كما يعرّف بشكل أكثر شمولا بأنه: "الدراسة العلمية التي تهدف إلى فهم وتفسير التفاعل الاجتماعي بين الأفراد وبعضهم البعض في مختلف المواقف الاجتماعية والوقوف على الكيفية التي يتأثر بها تفكيرهم ومشاعرهم وسلوكهم بوجود الأفراد الآخرين الفعلي أو المتخيل أو الضمني".

ومن خلال هذه التعاريف يتضح أن علم النفس الاجتماعي:

- يهتم بدراسة التفاعل، والعمليات النفسية المختلفة التي يمر بها الفرد والتي تنمو عن طريقها شخصية الفرد الاجتماعية.
- ثم أنه يهتم بالعلاقات التي تنشأ بين هذه الشخصية والشخصيات الأخرى.
- ويهتم بدراسة ديناميكية هذه العلاقات والتفاعل الذي يحدث بين الأفراد في مواقف الحياة المتعددة.

ثالثا: ملامح ومميزات علم النفس الاجتماعي

تتحدد أهم ملامح علم النفس الاجتماعي في الآتي:

1- أن المنهج العلمي هو أساس الدراسة في علم النفس الاجتماعي:

يعدّ علم النفس الاجتماعي شأنه شأن مختلف العلوم النفسية الأخرى يستخدم المنهج العلمي في دراسة ظواهره والوصول إلى النتائج وتفسيرها.

والمنهج العلمي هو: "الاستراتيجية العامة لتناول المشكلات العلمية والإجابة عن التساؤلات الأساسية موضوع الدراسة".

وللبحث العلمي في مجال علم النفس الاجتماعي أهداف عريضة تتمثل في الآتي:

أ- **الوصف:** أي الوصول إلى أوصاف دقيقة ومنظمة للسلوك الاجتماعي بما يسمح بعمل تعميمات ثابتة عن الكيفية التي يسلك بها الأفراد في مختلف المواقف والسياقات الاجتماعية، مثل: هل الذكور أكثر عدوانية من الإناث؟ هل يتبنى الأطفال نفس اتجاهات آبائهم عندما يكبرون؟.

ب- **التحليل السببي:** أي الكشف عن العلاقة بين السبب والنتيجة. فمثلا: هل تؤثر الحملات الانتخابية على الكيفية التي يصوت بها الأشخاص في الانتخابات؟.

ج- **بناء النظرية:** حيث تساعد النظريات في تفسير لماذا يسلك الأفراد بطريقة معينة دون غيرها.

د- **التطبيق:** والذي يتمثل في حل المشكلات في الحياة اليومية، فتطبيق علم النفس الاجتماعي يمكن أن يساعد الأفراد على تعلم الكيفية التي يضبطون بها اندفاعاتهم العدوانية أثناء الدخول في تفاعلات اجتماعية معينة.

2- وحدة التحليل في علم النفس الاجتماعي هي الفرد:

يتركز الاهتمام في علم النفس الاجتماعي على الفرد، وليس على الجماعة أو أية وحدة أخرى.

فالهدف هو معرفة الكيفية التي يتأثر بها سلوك الفرد بالأحداث والمواقف الاجتماعية. هذا الاهتمام بالفرد هو الذي جعل علم النفس الاجتماعي ينتمي إلى عائلة علم النفس، بدلا من انتمائه إلى أحد مجالات العلوم الاجتماعية الأخرى، مثل: علم الاجتماع والأنثربولوجيا وغيرهما.

ومن أحد الفروق المهمة بين علم النفس الاجتماعي وغيره من العلوم الاجتماعية تتمثل في مستوى التحليل، فمعظم العلوم الاجتماعية الأخرى تدرس الأفراد من حيث جنسيتهم ومستواهم الاجتماعي والاقتصادي والتعليمي وغيرها من العوامل الخاصة بالجماعة التي ينتمي لها الفرد، أما علم النفس الاجتماعي

فيهتم بدراسة الفرد نفسه، حتى وإن درس علم النفس الاجتماعي جماعة من الأفراد فهو يركز على سلوك الفرد داخل هذه الجماعة.

3- يهتم علم النفس الاجتماعي بدراسة التفاعل في المواقف الاجتماعية:

يهتم علم النفس الاجتماعي بدراسة الطريقة التي يفكر بها الأفراد ويشعرون بها نحو بعضهم البعض، والتي تربطهم ببعضهم البعض، وتجعلهم يؤثرون ويتأثرون ببعضهم البعض في مختلف المواقف الاجتماعية. فالسلوك المتبادل بين الأفراد يتم على أساس الخصال الشخصية لكل منهم في ضوء إدراكه لعضويته في الجماعة التي ينتمي إليها (جماعة دينية أو سياسية مثلا)، وفي ضوء إدراكه لعضوية الطرف الآخر الذي يتفاعل معه في جماعته، ويمكن أن يكون التفاعل بين فردين ينتميان لنفس الجماعة أو فردين من جماعتين مختلفتين.

أمثلة لذلك التفاعل بين المسلمين والمسيحيين، بين الريفيين والحضريين داخل المجتمع الجزائري، بين العرب والغرب، بين المسلمين واليهود كجماعات مختلفة.

ومن ثم فإن الأفراد أثناء تفاعل بعضهم مع البعض الآخر لا يكونون بمعزل عن خصالهم الشخصية، ولا خصال من يتفاعلون معهم، ولا عن خصائص جماعتهم التي ينتمون إليها، وكذلك خصائص موقف التفاعل، فعمليات التفاعل الاجتماعي تخضع لثلاثة عوامل هي:

- خصال الأفراد أنفسهم.
- خصال الجماعة التي ينتمون إليها.
- جوانب الموقف المباشر.

4- الحضور النفسي هو أساس التفاعل الاجتماعي:

يتطلب الأمر غالبا أن يتوفر في الموقف الاجتماعي نوعا من الحضور النفسي لمصدر التنبيه الاجتماعي، سواء كان هذا الحضور مباشرا أو غير مباشر.

وفي الحضور النفسي المباشر يتلقى الشخص تنبيهات مباشرة وفورية من آخرين موجودين معه في نفس الموقف. كما أن الحضور الجسمي للآخرين لا يمثل وحده نوعا من التنبيه الاجتماعي، فقد يكون هناك وجود فعلي لبعض الأشخاص في الموقف ولكنهم لا يمثلون تنبيها مباشرا وذلك لغياب الحضور النفسي اللازم لحدوث التفاعل.

مثل: الأشخاص المسافرين معا في القطار ربما لا يمثلون لبعضهم البعض أي شكل من التنبيه الاجتماعي رغم تواجدهم معا في نفس المكان. وربما يحدث تفاعل بين اثنين أو أكثر ممن يجلسون بجانب بعضهم عندما يبدؤون الحديث معا في أي موضوع، ومن ثم يكون قد توفر الحضور النفسي المباشر.

أما الحضور النفسي غير المباشر، فتعكسه التنبيهات الاجتماعية غير المباشرة التي تتمثل في كائنات أو موضوعات أو مواد أو رموز أو ظواهر طبيعية أو إنسانية ذات معنى معين، أو لها صلة بأحداث نفسية أو وقائع تتصل بأشخاص لهم حضور نفسي رغم عدم تواجدهم لحظة التنبيه غير المباشر الذي ربما يتمثل في أحداث نفسية (كالتذكر والتوقع).

حيث يؤدي الحضور النفسي غير المباشر إلى التأثير على طريقة تفكير الفرد ومشاعره ودفعه للقيام بسلوك معين وعدم القيام بسلوك آخر.

أمثلة: الطفل الذي يكون لوالديه حضور نفسي غير مباشر لديه يجعله يكف عن السلوكيات التي قد تسبب له العقاب منهما. أيضا، توقع أحد الآباء لفرحة ابنه بهدية معينة يحضرها له ربما يدفعه لشراء هذه الهدية.

رابعا: علاقة علم النفس الاجتماعي بغيره من العلوم النفسية والاجتماعية الأخرى والطابع المميز له

يمثل علم النفس الاجتماعي حلقة وصل بين مجالي الدراسات النفسية التي تركز اهتمامها على سلوك الفرد بمختلف جوانبه، والدراسات الاجتماعية التي تركز اهتمامها على سلوك الجماعات بجوانبه المتعددة. وبالتالي يتميز علم النفس الاجتماعي بأنه حلقة وصل بين مختلف المعارف الإنسانية النفسية والاجتماعية. وبعبارة أخرى يمكن القول إن علم النفس الاجتماعي يحتفظ بقدم في نطاق علم النفس (الفرد) وقدم أخرى في نطاق العلوم الاجتماعية الأخرى (المجتمع).

والسؤال هنا: ما هو الطابع الذي يميز علم النفس الاجتماعي عن غيره من العلوم النفسية والاجتماعية الأخرى؟

الإجابة: إن زاوية الاهتمام والتساؤلات التي يطرحها الباحث، ومناهج البحث المستخدمة وأدواتها هي التي تميز كل علم من هذه العلوم عن الآخر بوجه عام، وتميز علم النفس الاجتماعي عن كل منها بوجه خاص.

فالعلوم النفسية مثل علم النفس الشخصية وعلم النفس الاكلينيكي، يهتمان بالسمات التفسيرية التي يمكن من خلالها التنبؤ بسلوك الأفراد سواء في حالة السواء أو المرض.

بينما تهتم العلوم الاجتماعية كعلم الاجتماع ببناء النظم الاجتماعية.

أما علم النفس الاجتماعي فيعنى بسمات الفرد واستعداداته واستجاباته فيما يتعلق بعلاقته بالآخرين الذين يتفاعل معهم في المواقف الاجتماعية المختلفة، ومن ثم، فكل الموضوعات مثل الصداقة والتعصب يمكن دراستها في نطاق التخصصات الثلاثة.

خامسا: أهمية علم النفس الاجتماعي

يمثل علم النفس الاجتماعي أحد العلوم النفسية الأساسية المهمة، ليس على المستوى النظري فقط، ولكن على المستوى التطبيقي كذلك.

فمن الناحية النظرية: تتمثل أهمية علم النفس الاجتماعي في:

- علاقته الوثيقة بمعظم فروع علم النفس الأخرى من ناحية، والعلوم الاجتماعية والنفسية من ناحية أخرى، والتفاعل بينها.
- دراسته لموضوعات وثيقة الصلة بمشكلات المجتمع، والحياة الواقعية للأفراد، ومحاولة طرح حلول فعالة وبناءة لها، ويهتم علم النفس الاجتماعي بدراسة موضوعات تمثل أحداث الساعة في

كل أنحاء العالم وتؤرق كل سكان المعمورة، مثل: التعصب، العنف، العدوان، الإرهاب وما يرتبط بها من حرب نفسية ودعاية سوداء وشائعات...الخ.

أما من الناحية التطبيقية، فنجد أن لعلم النفس الاجتماعي دلالات تطبيقية في العديد من المجالات، منها ما يلي:

- **المجال التربوي والتعليمي:** حيث يحتاج المعلمون إلى معرفة الخصائص النفسية لطلابهم وكيف تؤثر في موقف التعلم كموقف تفاعل اجتماعي بهدف تحسين هذا التفاعل وزيادة الدافع للتعلم لديهم.
- **المجال الإرشادي والاكلينيكي:** يحتاج المرشد النفسي أو المعالج النفسي إلى معرفة مبادئ التفاعل الاجتماعي بما يعينه على تحقيق تفاعل بناء مع المريض، مما يعين على تحقيق الهدف من الجلسة العلاجية.
- **المجال العسكري والحربي:** التفاعل بين القادة والضباط. يحتاج ضباط القوات المسلحة والقادة العسكريين إلى فهم سلوك الجنود الذين يتعاملون معهم، وكيفية رفع روحهم المعنوية، وتأهيلهم للقتال، وتنمية الولاء والانتماء في بناء شخصية المقاتل.
- **المجال الجنائي:** الاستفادة من مبادئ التفاعل الاجتماعي في التحقيقات الجنائية وكشف الكذب واكتشاف الجرائم والوقاية من حدوث الجريمة.
- **المجال الصناعي والتنظيمي:** مجال القيادة من أهم المجالات التي تستفيد من علم النفس الاجتماعي خاصة فيما يتعلق بأنواع القيادة، ودورها في تحقيق التوافق النفسي والمهني للعاملين.
- **المجال الاقتصادي:** أهمها تنمية وعي الأفراد واتجاهاتهم الإيجابية نحو الوطن وما يرتبط به، مثل: تغيير الاتجاهات نحو شراء المنتجات المحلية في مقابل المستوردة، والوعي بأهمية جودة الإنتاج، والتنافس مع الأسواق العالمية.

سابعا: المجالات التي يبحث فيها علم النفس الاجتماعي

يبحث علم النفس الاجتماعي في عدة مجالات، منها:

- العمليات الاجتماعية والثقافية.
- السلوك الجنسي كسلوك اجتماعي.
- الرأي العام والاتجاهات النفسية.
- الجماعة والعلاقات التبادلية.
- الحياة العقلية الجماعية.
- الجمهرة وظاهرة التجمع.
- التنشئة الاجتماعية.
- إدمان المخدرات وتعاطي الخمور والتدخين.
- الاتصال كوسيلة اجتماعية ووسائل الاتصال الاجتماعية واللغة.